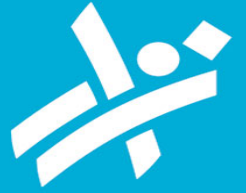


نزار قباني



أشهد أن
لا امرأة
إلا أنتِ

نوفل

نزار قباني

أشهدُ أن لا
امرأةً إلا أنتِ



جميع الحقوق محفوظة.

صدرت عام 2015 عن **نوفل**، دمغة الناشر هاشيت أنطوان
الطبعة الثانية، 2017

© **هاشيت أنطوان ش.م.ل.**، 2015

سنّ الفيل، حرج ثابت، بناية فورست

ص. ب. 11-0656، رياض الصلح، 1107 2050 بيروت، لبنان

info@hachette-antoine.com www.hachette-antoine.com

facebook.com/HachetteAntoine twitter.com/NaufalBooks

لا يجوز نسخ أو استعمال أيّ جزء من هذا الكتاب في أيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة من الوسائل –
سواء التصويرية أو الإلكترونية أو الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة
أو سواها وحفظ المعلومات أو استرجاعها – من دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

تصميم الغلاف والداخل: **بسكال زغبى**

اقتباس التصميم: **ماري تريبز مرعب**

متابعة النشر: **نجلا رعيدي شاهين**

ر.د.م.ك. (النسخة الورقية): 9-898-26-9953-978

ر.د.م.ك. (النسخة الإلكترونية): 9-458-438-614-978

الإفتاحية

إلى امرأةٍ لا تُعادُ..

تُسَمَّى.. (مدينة حُرني)

إلى مَنْ تُسافر مثل السفينة في ماء عَيْني

وتدخُلُ – وَفَتَ الكتابة – ما بين صوتي وبينني..

أَقْدِّمُ مَوْتِي إِلَيْكَ على شكل شِعْرِ

فكيف تَطْلِيْنِ أُنِّي أَعْتِي؟..

المُحاكَمَة

يُعَانِقُ الشَّرْقُ أَشْعَارِي.. وَيَلْعَنُهَا
فَأَلْفُ شَكْرِ لِمَنْ أَطْرَى، وَمَنْ لَعَنَّا
فَكُلُّ مَذْبُوحَةٍ دَافَعْتُ عَنْ دِمِهَا
وَكُلُّ خَائِفَةٍ أَهْدَيْتُهَا وَطَنًا
وَكُلُّ تَهْدِيدٍ.. أَنَا أَيْدَتْ تَوْرَتَهُ
وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي أَنْ أَدْفَعَ التَّمَنَّا
أَنَا مَعَ الْحُبِّ، حَتَّى حِينَ يَقْتُلْنِي
إِذَا تَخَلَّيْتُ عَنْ عِشْقِي.. فَلَسْتُ أَنَا..

أشهد أن لا امرأة إلا أنت..

١

أشهد أن لا امرأة..
أثقت اللعبة إلا أنت..
واحتملت حماقتي عشرة أعوام كما احتملت..
واضطبرت على جنوني مثلما صبرت..
وقلّمت أظافري
وربّيت دقائري
وأدخلتني روضة الأطفال..
إلا أنت..

٢

أشهد أن لا امرأة..
تُشبهني كصورة ريتية
في الفكر والسلوك، إلا أنت..
والعقل والجُنون.. إلا أنت
والمَلل السريع.. والتعلُّق السريع.. إلا أنت..
أشهد أن لا امرأة..
قد أخذت من اهتمامي نصف ما أخذت

وَاسْتَعْمَرْتَنِي مِثْلَمَا فَعَلْتِ..
وَحَرَّرْتَنِي مِثْلَمَا فَعَلْتِ..

٣

أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
تَعَامَلْتُ مَعِيَ كَطِفْلِ عُمُرِهِ شَهْرَانِ.. إِلَّا أَنْتِ..
وَقَدَّمْتُ لِي لَبَنَ الْعُصْفُورِ، وَالْأَزْهَارَ، وَالْأَلْعَابَ.. إِلَّا أَنْتِ..
أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
كَأَنْتِ مَعِيَ كَرِيمَةً كَالْبَحْرِ..
رَاقِيَةً كَالشَّعْرِ..
وَدَلَّلْتَنِي مِثْلَمَا فَعَلْتِ..
وَأُفْسِدْتَنِي مِثْلَمَا فَعَلْتِ..
أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
قَدْ جَعَلْتَ طُفُولَتِي تَمْتَدُّ لِلْحَمْسِينَ.. إِلَّا أَنْتِ..

٤

أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ إِنَّهَا النِّسَاءُ.. إِلَّا أَنْتِ..
وَأَنَّ فِي سُرَّتِهَا مَرْكَزَ هَذَا الْكَوْنِ
أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
تَتْبَعُهَا الْأَشْجَارُ عِنْدَمَا تَسِيرُ.. إِلَّا أَنْتِ..
وَيَشْرَبُ الْحَمَامُ مِنْ مِيَاهِ جِسْمِهَا الثَّلْجِيِّ.. إِلَّا أَنْتِ..
وَتَأْكُلُ الْخِرَافُ مِنْ حَشِيشِ إِبْطِهَا الصِّيفِيِّ.. إِلَّا أَنْتِ..

أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
إِخْتَصَرْتُ بِكَلِمَتَيْنِ قِصَّةَ الْأُنُوثَةِ..
وَحَرَّصْتُ رُجُولَتِي عَلَيْكَ.. إِلَّا أَنْتِ..

٥

أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
تَوَقَّفَ الزَّمَانُ عِنْدَ تَهْدِيهَا الْأَيْمَنَ.. إِلَّا أَنْتِ..
وَقَامَتِ الثُّورَاتُ مِنْ سُفُوحِ تَهْدِيهَا الْأَيْسَرِ.. إِلَّا أَنْتِ..
أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
قَدْ غَيَّرَتْ شَرَائِعَ الْعَالَمِ.. إِلَّا أَنْتِ..
وَغَيَّرَتْ خَرِيطَةَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ..
إِلَّا أَنْتِ..

٦

أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
تَجْتَاحُنِي فِي لَحَظَاتِ الْعِشْقِ، كَالزَّلْزَالِ
تُخْرِقُنِي.. تُعْرِقُنِي..
تُسْعِلُنِي.. تُطْفِئُنِي..
تَكْسِرُنِي بِصَفَيْنِ كَالِهَلَالِ..
أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
تَحْتُلُّ نَفْسِي أَطْوَلَ احْتِلَالٍ..
وَأَجْمَلَ احْتِلَالٍ
تَزِرُّ غُنِي..

وَرَدًا دَمَشْقِيًّا.. وَنَعْنَاءًا.. وَبُرْتُقَالٍ..

يا امرأة..

أَتْرَكُ تَحْتَ شَعْرِهَا أَسْئَلْتِي..

وَلَمْ تُجِبْ يَوْمًا عَلَى سُؤَالٍ..

يا امرأة..

هِيَ اللَّعَاثُ كُلُّهَا..

لَكِنَّهَا..

تُلَمَسُ بِالذِّهْنِ.. وَلَا تُقَالُ..

٧

أَيْبُهَا الْبَحْرِيَّةُ الْعَيْنِيْنِ.. وَالشَّمْعِيَّةُ الْيَدَيْنِ.. وَالرَّائِعَةُ الْخُصُورُ

أَيْبُهَا الْبَيْضَاءُ كَالْفِصَّةِ.. وَالْمَلَسَاءُ كَالْبُلُورِ..

أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..

عَلَى مَحِيطِ خَصْرِهَا تَجْتَمِعُ الْعُصُورُ

وَأَلْفُ أَلْفٍ كَوَكَبٍ يَدُورُ..

أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً.. غَيْرَكَ يَا حَبِيبَتِي

عَلَى ذِرَاعَيْهَا تَرَبَّى أَوَّلُ الذُّكُورِ..

وَأَخِرُ الذُّكُورِ

٨

أَيْبُهَا اللَّمَّاحَةُ، الشَّقَافَةُ، الْعَادِلَةُ، الْجَمِيلَةُ..

أَيْبُهَا الشَّهِيَّةُ، الْبَهِيَّةُ، الدَّائِمَةُ الطُّفُولَةَ

أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..

تَحَرَّرْتُ مِنْ حُكْمِ أَهْلِ الْكَهْفِ.. إِلَّا أَنْتِ..
وَكَسَّرْتُ أَصْنَامَهُمْ.. وَبَدَّدْتُ أَوْهَامَهُمْ..
وَأَسْقَطْتُ سُلْطَةَ أَهْلِ الْكَهْفِ.. إِلَّا أَنْتِ..
أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
إِسْتَقْبَلْتُ بِصَدْرِهَا خَناجِرَ الْقَبِيلَةِ..
واعتَبَرْتُ حُبِّي لَهَا.. خُلَاصَةَ الْفَضِيلَةِ..

٩

أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
جاءَتْ تمامًا مثلما انتظَرْتُ..
وجاءَ طَوْلُ شَعْرِهَا، أَطْوَلَ مِمَّا شِئْتُ أَوْ حُلُمْتُ..
وجاءَ شَكْلُ نَهْدِهَا.. مُطَابِقًا لِكُلِّ مَا خَطَّطْتُ أَوْ رَسَمْتُ..
أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
تَخْرُجُ لِي مِنْ سُحْبِ الدَّخَانِ، إِنْ دَخَنْتِ..
تَطِيرُ كَالْحَمَامَةِ الْبَيْضَاءِ فِي فِكْرِي، إِذَا فَكَّرْتُ
يَا امْرَأَةً كَتَبْتُ عَنْهَا كُتُبًا بِحَالِهَا
لَكُنَّهَا.. بِرَغَمِ شِعْرِي كُلِّهِ..
قَدْ بَقِيََتْ أَجْمَلُ مِنْ جَمِيعِ مَا كَتَبْتُ..

١٠

أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
مَارَسَتْ الْحُبَّ مَعِي بِمُنْتَهَى الْحَضَارَةِ
وَأَخْرَجَتْني مِنْ غُبَارِ الْعَالَمِ الثَّالِثِ.. إِلَّا أَنْتِ..

أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
قَبْلَكَ.. حَلَّتْ عُقْدِي
وَتَقَعْتُ لِي جَسَدِي..
وَحَاوَرْتُهُ مِثْلَمَا تُحَاوِرُ الْقِيثَارَةَ..

١١

أَشْهَدُ أَنْ لَا امْرَأَةً..
تَمَكَّنْتُ أَنْ تَرْفَعَ الْحُبَّ إِلَى مَرْتَبَةِ الصَّلَاةِ..
إِلَّا أَنْتِ..
إِلَّا أَنْتِ..
إِلَّا أَنْتِ..

حوار

إذا سألوني: مَنْ تكونُ حبيبتِي؟
أقولُ لَهُمْ: يَا لَيْتَ أَمْلِكُ رَسْمَهَا
فإِثْنَيْ عَشْرِينَ قَرْنًا أَحُبُّهَا..
وما زلتُ حتى الآنَ.. لا أعْرِفُ اسْمَهَا..

قَدَرُ أَنْتِ بِشَكْلِ امْرَأَةٍ

قَدَرُ أَنْتِ.. بِشَكْلِ امْرَأَةٍ
وَأَنَا مُقْتَنِعٌ جَدًّا بِهَذَا الْقَدَرِ
إِنِّي بَعْضُكَ يَا سَيِّدَتِي
مِثْلَمَا الْأَخْضَرُ بَعْضُ الشَّجَرِ..
وَأَنَا صَوْتُكَ يَا سَيِّدَتِي
مِثْلَمَا الْآهُ امْتِدَادُ الْوَتْرِ
مَطَرٌ يَغْسِلُنِي أَنْتِ، فَلَا
تَحْرَمِينِي مِنْ سُقُوطِ الْمَطَرِ
بَصَرِي أَنْتِ.. وَهَلْ يُمْكِنُهَا
أَنْ تَرَى الْعَيْنَانِ دُونَ الْبَصَرِ؟

أَعْظَمُ أَعْمَالِي

إِذَا سَأَلُونِي عَنْ أَهَمِّ قَصِيدَةٍ
سَكَبْتُ بِهَا نَفْسِي، وَعُمْرِي، وَأَمَالِي
كَتَبْتُ فَارِسِيٍّ مُدَهَّبٍ
عَلَى كُلِّ تَجْمٍ: أَنْتِ أَعْظَمُ أَعْمَالِي..

حَبِيبَتِي هِيَ الْقَانُون

أَسْبِغُهَا الْأُنْثَى الَّتِي فِي صَوْتِهَا..
تَمْتَرُجُ الْفِصَّةُ.. بِالنَّبِيذِ.. بِالْأَمْطَارِ..
وَمِنْ مَرَايَا رُكْبَتَيْهَا يَطْلُعُ النَّهَارُ
وَيَسْتَعِدُّ الْعُمُرُ لِلْإِبْحَارِ..
أَسْبِغُهَا الْأُنْثَى الَّتِي يَخْتَلِطُ الْبَحْرُ بِعَيْنَيْهَا مَعَ الزَيْتُونِ
يَا وَرْدَتِي.. وَجَمَّتِي.. وَتَاجَ رَأْسِي..
رَبِّمَا أَكُونُ..
مُشَاغِبًا.. أَوْ فَوْضُوِيَّ الْفِكْرِ.. أَوْ مَجْنُونُ..
إِنْ كُنْتُ مَجْنُونًا – وَهَذَا مُمَكِّنُ – فَأَنْتِ يَا سَيِّدَتِي مَسْؤُولَةٌ عَنْ ذَلِكَ الْجُنُونِ
أَوْ كُنْتُ مَلْعُونًا – وَهَذَا مُمَكِّنُ – فَكُلُّ مَنْ يَمَارِسُ الْحُبَّ بِلَا إِجَارَةٍ
فِي الْعَالَمِ الثَّالِثِ، يَا سَيِّدَتِي، مَلْعُونُ
فَسَامِحِينِي مَرَّةً وَاحِدَةً
إِذَا أَنَا خَرَجْتُ عَنْ حَرْفِيَّةِ الْقَانُونِ
فَمَا الَّذِي أَصْنَعُ يَا رَيْحَانَتِي؟
إِنْ كَانَ كُلُّ امْرَأَةٍ أَحَبَّتُهَا..
صَارَتْ هِيَ الْقَانُونُ..

التمثيلية^٣

أقولُ أمامَ الناسِ، لستِ حبيبتِي
وأعرفُ في الأعماقِ كم كنتُ كاذبا
وأزعمُ أن لا شَيْءَ يجمعُ بيننا
لأُبْعِدَ عن نفسي وعنكِ المتاعِبَا
وأُنفي إشاعاتِ الهوى، وهي خُلُوهُ
وأجعلُ تاريخي الجميلَ خرابا
وأُعلنُ في شكلِ غيٍّ، براءتي
وأذبحُ شَهْوَاتي.. وأصبحُ راهبا
وأقتُلُ عِطْري.. عامدا متعمدا
وأخرجُ من جَنّاتِ عينيكِ هاربا
أقومُ بدورِ مُصْحِكٍ، يا حبيبتِي
وأرجعُ من تمثيلِ دوري خائبا
فلا الليلُ يُخفي، لو أرادَ، نُجُومَهُ
ولا البحرُ يُخفي، لو أرادَ، المراكِبَا..

قولي أُحِبُّكَ

قولي (أُحِبُّكَ).. كي تزيدَ وسَامَتي

فبغير حُبِّكَ لا أكونُ جميلاً..

قولي (أُحِبُّكَ) كي تصيرَ أصابعي

دَهَبًا.. وتُصبحَ جبهتي قَنديلاً

قولي (أُحِبُّكَ) كي يتمَّ تحوُّلي

فأصيرَ قمحًا، أو أصيرَ نخيلاً

الآنَ قُوليها.. ولا تتردَّدِي

بعضُ الهوى لا يَقْبَلُ التَّأجيلًا

قولي (أُحِبُّكَ) كي تزيدَ قداستي

ويصيرَ شعري في الهوى إنجيلًا

سَأُغَيِّرُ التقويمَ لو أَحْبَبْتِنِي

أَمْحُو فُصُولًا، أو أَضِفْ فُصُولًا

وسينتهي العصرُ القديمُ على يدي

وأقيمُ مملكةَ النساءِ بديلاً..

قولي (أُحِبُّكَ) كي تصيرَ قصائدي

مائيَّةً، وكتابتي تنزيلاً

مَلِكُ أنا.. لو تُصْبِحِينَ حبيبتِي

أغزو الشموسَ مراكبًا وحُيُولًا

لا تَخْجَلِي مِنِّي، فهذهي فُرْصَتِي

لأَكُونَنَّ رَبًّا.. أَوْ أَكُونَنَّ رَسُولًا..

هل هذه علامة؟

لم أَتَاكُذْ بَعْدُ - يا سَيِّدَتِي - من أَنْتِ..
هل أَنْتِ أَنْثَايَ الَّتِي انتَظَرْتُهَا؟
أَمْ دُمِيَّةٌ قَتَلْتُ فِيهَا الْوَقْتُ؟
لم أَتَاكُذْ بَعْدُ، يا سَيِّدَتِي
فَأَنْتِ فِي فِكْرِي إِذَا فَكَّرْتُ
وَأَنْتِ فِي دِفَاتِرِي الزَّرْقَاءِ، إِنْ كَتَبْتُ
وَأَنْتِ فِي حَقِيبَتِي إِذَا أَنَا سَاقَرْتُ..
وَأَنْتِ فِي تَأْشِيرَةِ الدَّخُولِ،
فِي ابْتِسَامَةِ الْمُضِيقَةِ الْخَضِرَاءِ..
فِي الْعَيْمِ الَّذِي يَلْتَفُّ كَالذَّرَاعِ حَوْلَ الطَّائِرَةِ..
وَأَنْتِ فِي الْمَطَاعِمِ الَّتِي تَقْدِّمُ النَّبِيذَ وَالْجُبْنَ بَبَارِيسَ..
وَفِي أَقْبِيَةِ (الْمَتْرُو) الَّتِي يَفُوحُ مِنْهَا الْحُبُّ وَ(الْغُولُوْاْ)..
فِي أَشْعَارِ (فَرْلِينِ) الَّتِي تَبَاغُ عِنْدَ الضَّفَّةِ الْيُسْرَى مِنْ (السَّيْنِ)..
وَفِي أَشْعَارِ (بُودَلِيرِ) الَّتِي تَدْخُلُ مِثْلَ خَنْجَرٍ مَفْصَّصٍ فِي الْخَاصِرَةِ
وَأَنْتِ، فِي لَنْدَنَ، تَلْبَسِينَني
كَكَتْرَةِ صُوفِيَّةٍ عَلَيْكِ، إِنْ بَرَدْتُ
وَأَنْتِ فِي مَدْرِيدَ.. فِي اسْتُوكْهولْمَ..
فِي هُونْكَوَنَغَ.. عِنْدَ سَدِّ الصِّينِ..
أَلْقَاكِ أَمَامِي، حَيْثُمَا التَّقْتُ

في مطعم الفندق.. في مَشْرَبِهِ..

أراكِ في كأسِي إذا شربتِ

أراكِ في حزني إذا حزنتِ..

أريدُ أن أعرفَ يا سيّدتِي

هل هذه علامةُ بأنّني أُحِبُّكِ؟

الحَصَارَة

يَعْسِلُنِي حُبُّكَ مِنْ بَدَوَاتِي..
يَشِيلُ عَنِّي الرَّمْلَ وَالْحَجَارَةَ
يُدْخِلُنِي فِي قَصْرِهِ الْمَائِيَّ كُلَّ لَيْلَةٍ
يُدْخِلُنِي فِي رُزْقَةِ الْعِبَارَةِ..
وَعِنْدَمَا أَسْأَلُهُ:
مَنْ أَنْتِ يَا حَبِيبَتِي؟
يَرْفَعُ لِي عِنْدَ وَجْهِكَ السَّتَارَةَ
ثُمَّ يَقُولُ: هَا هِيَ الْحَصَارَةُ..

التجارب

لا تُتْعَبِي نَفْسَكَ يا غَالِيَهُ
في البَحْث عن تجاربي الماضِيَهُ
كلُّ نساء الأرض في كَفَّةٍ
وأنتِ يا أميرتي، في الكَفَّةِ الثانيَةِ..

أُحِبُّكَ

أُحِبُّكَ، في كُلِّ يومٍ، ثلاثينَ عامًا..
وأشعرُ أَنِّي أُسابقُ عُمرِي..
وأشعرُ أَنَّ الزمانَ قليلٌ عليكِ
وَأَنَّ الدقائقَ تجري..
وَأَنِّي وراءَ الدقائقِ أَجري..
وأشعرُ أَنِّي أُوَسِّسُ شيئًا
وأُرْعُ في رِجَمِ الأرضِ شيئًا..
وأشعرُ، حينَ أُحِبُّكَ - أَنِّي أُغَيِّرُ عَصْرِي..

التعاريف

أنا ضدَّ كُلِّ التعاريف في الحُبِّ..

فَهِيَ جميعًا قَوَالِبٌ..

وَصِدَّ جميع الوصايا القديمة،

صِدَّ جميع النصوص، وَصِدَّ جميع المذاهبِ..

فلا يصنَعُ الحُبُّ إِلَّا التجاربَ..

ولا يصنَعُ البَحْرُ، إِلَّا الرياحُ وإِلَّا المراكبُ

ولا يستطيعُ الحديثُ عن الحربِ.. إِلَّا المُحَارِبَ..

أنا أفعلُ الحُبَّ.. لكنْ إذا سألونيَّ عنه

فإِنِّي أَفْضَلُ أن لا أُجاوِبَ..

المَطَر

أخافُ أن تُمَطِّرَ الدنيا، ولستِ معي
فمنذ رُحْتَ، وعندي عُقْدَةُ المَطَرِ..
كان الشتاءُ يُعْطِّينِي بمعطِفِهِ
فلا أفكِّرُ في بَرْدٍ، ولا صَجَرٍ
وكانت الريحُ تعوي خلف نافذتي
فتهمسينَ: "تَمَسَّكَ.. ها هُنا شَعْرِي.."
والآنَ أجلسُ، والأمطارُ تجلدني
على ذراعي، على وجهي، على ظَهْري
فَمَنْ يدافعُ عَنِّي، يا مسافِرَةً؟
مثلَ اليمامة، بينَ العينِ والبَصَرِ
وكيفَ أمحوكَ من أوراقِ ذاكرتي؟
وأنتِ في القلبِ مثلَ التَّقْشِ في الحَجَرِ
أنا أَجُبُّكَ.. يا مَنْ تسكنينَ دمي
إنْ كنتِ في الصينِ، أو إنْ كنتِ في القَمَرِ
ففيكَ شيءٌ من المجهولِ أدخُلُهُ
وفيكَ شيءٌ من التاريخِ والقَدَرِ..

لِمَاذَا؟

كثيراً صديقاتي..

كثيراً عَلاقاتي..

وبين يديَّ - حين أريدُ - آلافُ الخياراتِ

ولكنَّ ما يُحيرُّني

لماذا أنتِ بالذاتِ..

أُحبُّكِ أنتِ.. بالذاتِ؟

إِكْبَرِي عِشْرِينَ عَامًا

إِكْبَرِي عِشْرِينَ عَامًا.. ثُمَّ عُودِي
إِنَّ هَذَا الْحَبَّ لَا يُرْضِي ضَمِيرِي
حَاجِزُ الْعَمْرِ خَطِيرٌ.. وَأَنَا
أَتَحَاشَى حَاجِزَ الْعُمُرِ الْخَطِيرِ
نَحْنُ عَصْرَانِ.. فَلَا تَسْتَعْجِلِي
الْقَفْرَ يَا سَيِّدَتِي فَوْقَ الْعُصُورِ
أَنْتِ فِي أَوَّلِ سَطْرِ فِي الْهَوَى
وَأَنَا أَصْبَحْتُ فِي السَّطْرِ الْآخِرِ..

الإِنَاء

.. وَكُنْتُ فِي طُفُولَتِي
أُظَنُّ أَنَّ الْقَلْبَ كَالْإِنَاءِ..
تَسْبُحُ فِي مِياهِ الزرقاءِ آلافُ مِنَ النِّساءِ
وَعِنْدَمَا تَصَجُّتُ يَا حَبِيبَتِي
وَاتَحَدَّثْتُ عَنَّا صُرُ الْأَشْيَاءِ
بَحَثْتُ عَن أَسْمَاكِ الْخَضراءِ وَالْحَمراءِ
فَلَمْ أَجِدْ سِوَاكِ يَا أَمِيرَتِي
فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ..

مُعَادَلَة

أَعَشَّقُ يَا حَبِيبَتِي
إِذَنْ أَنَا مَوْجُودُ
أَكْتُبُ يَا حَبِيبَتِي
فَأَسْتَرِدُّ الزَّمَنَ الْمَفْقُودَ..

لو كَانَ حُبِّي شَجَرًا

لو كَانَ حُبِّي شَجَرًا

لَكُنْتُ يَا حَبِيبَتِي

غَطَّيْتُ وَجَهَ الْأَرْضِ بِالشَّجَارِ

لو كَانَ حُبِّي مَطَرًا

أَعْرِفْتُ هَذَا الْكَوْنَ.. بِالْأَمْطَارِ..

تعالِي البارحة

إِنْ كَانَ لَا يَمَكُنُكَ الحُضُورُ يَا حَبِيبَتِي

لَأَيِّ غُذْرِ طَارِيءٍ

سَأَكْتَفِي بِالرَّائِحَةِ..

إِنْ كَانَ لَا يَمَكُنُ أَنْ تَأْتِي غَدًا

إِذَنْ.. تَعَالِي الْبَارِحَةَ!!..

تربية الخُيول

أَعْبُ من مياه ناهديك كالحِصَانِ..
وأستريحُ بعدها من تَعَبِ الزمانِ
فلا تُذِلِّي الحَيْلَ يا صديقتي..
للحَيْلِ أخلاقٌ.. وعُنفوانٌ..

على البحر الطويل

إفرشي شَعْرَكَ فوقِي..
مثلَ غابات النخيلِ
فأنا يعجبُنِي النَّظْمُ على البحر الطويلِ
لستُ رَجْعِيًّا بطَبْعِي.. إنما
أشتهي رائحةَ البُنِّ، وطَعْمَ الرَنْجِيلِ
يرحلُ المِشْطُ، وقلبي معه
إنَّ مِنْ أَغْلَى هواياتي الرحيلُ..

كَي يَأْتِي النَّهَارُ

لَنْ أُطِيلَ الشَّرْحَ..

فَالْحُبُّ اخْتِصَارٌ..

إِنِّي فِي حَاجَةٍ قُصْوَى

إِلَى وَاحِدَةٍ مِثْلِكَ..

كَي يَأْتِي النَّهَارُ..

هل يعرفُ القُرّاءُ؟

كيفَ استطعتِ يا سيِّدتي؟
أنْ تَدْخُلِي بينَ يدي.. والوَرقَةُ
وتَسْكُنِي في الجِبرِ والأقلامِ
كيفَ استطعتِ يا سيِّدتي؟
أنْ تحذُفي عبارةً..
وتُكْمِلي عبارةً..
وتُخْرِجِي من داخلِ الكلامِ..
هل يعرفُ القُرّاءُ يا سيِّدتي؟
أَنْتِ كُنْتَ دائِماً..
تُوقِّعِينَ عَنِّي كُتُبَ العَرَامِ..

اللُّغَةُ

أَوْكَلَّمَا رَجُلٌ أَحَبَّ..

يَكُونُ مُضْطَرًّا إِلَى اسْتِعْمَالِ ذَاتِ الْمَفْرَدَاتِ؟

أَوْكَلَّمَا امْرَأَةً أَرَادَتْ أَنْ تَضُمَّ حَبِيبَهَا

فَرَضُوا عَلَيْهَا أَنْ تَنَامَ مَعَ الْأَيْمَةِ وَالنُّحَاةِ؟

مِنْ أَجْلِ هَذَا كُلِّهِ..

مَا قُلْتُ شَيْئًا لِلَّتِي أَحْبَبْتُهَا

وَجَمَعْتُ أَشْيَاءَ الْهَوَى بِحَقِيبَةٍ

وَهَرَبْتُ مِنْ كُلِّ اللُّغَاتِ..

أَغْتَصِبُ الْعَالَمَ بِالْكَلِمَاتِ

أَغْتَصِبُ الْعَالَمَ بِالْكَلِمَاتِ..

أَغْتَصِبُ اللُّغَةَ الْأُمَّ..

النَّحْوُ.. الصَّرْفُ.. الْأَفْعَالُ.. الْأَسْمَاءُ

أُجْتَاخُ بِكَارَاتِ الْأَشْيَاءِ

وَأُسَكِّلُ لُغَةً أُخْرَى..

فِيهَا سِرُّ النَّارِ، وَسِرُّ الْمَاءِ

وَأُضِيءُ الزَّمَنَ الْآتِي..

أُوقِفُ فِي عَيْنِكَ الْوَقْتَ..

وَأُمَحُو الْخَطَّ الْفَاصِلَ بَيْنَ اللَّحْظَةِ وَالسَّتَوَاتِ..

وماذا سيخسر ربّي

وماذا سيخسر ربّي؟

وقد رَسَمَ الشمسَ تُفَاحَةً

وأجرى المِياه، وأرْسَى الجبالا

إذا هو غَيَّرَ تَكْوِينَنَا

فأصبحَ عِشْقِي أَشَدَّ اعتدالا

وأصبحتِ أَنْتِ أَقْلَ جَمالاً..

الوردة والفنجان

دَخَلْتُ اليَوْمَ للمقهى..
وقد صَمَّمْتُ أن أنسى علاقتنا
وأدْفِنَ كُلَّ أحزاني
وحين طلبتُ فنجانًا من القَهْوَةِ
خرجتِ كوردةٍ بيضاء..
من أعماق فنجاني!!

هل تكتبين معي القصيدة

فَكَرْتُ أَنَّ الشِّعْرَ يَهْبِطُ كَالْمَفَاجَأَةِ السَّعِيدَةِ
وَيَجِيءُ مِثْلَ الطَّائِرِ اللَّيْلِ مِنْ جُرْ بَعِيدَةٍ
فَكَرْتُ أَنَّ الشِّعْرَ يَحْمِلُ كَيْسَهُ
وَيُوزَعُ الْأَلْعَابَ، وَالْحُلُوى عَلَى الْأَطْفَالِ فِي السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ
حَتَّى وَجَدْتُكَ بَيْنَ أَقْلَامِي، وَبَيْنَ دِفَاتِرِي
فَعَرَفْتُ أَنَّكَ تَكْتُبِينَ مَعِيَ الْقَصِيدَةَ..

صُعوبة

وكمْ أُعْجِبْتُ بامرأةٍ
ولم يَتَغَنَّ بها القلبُ
نساءُ الأرض لا يُحْصَيْنَ
لكنَّ الهوى صَعْبٌ..

حَماقة

وما كنتُ أعلمُ..
حينَ شَطَبْتُكَ من دفتر الذكرياتِ
بأني سأشطبُ نصفَ حياتي..

شهادة تأمين

تُريدِينَ مَنِّي، شهادة حُبٍّ
موقَّعةً بالحروف الكبيرة
وأشَّهَدُ - حتَّى كتابةِ هذِي السُّطورِ -
بأنَّكِ بين النساءِ الأخيرة..
ولكن.. لماذا الشهاداتُ؟ قُولِي
وهل يَضمُنُ البحرُ يومًا حدودَ جَزرِهِ؟

إلى ثلاثينيه..

دخلتِ الثلاثينَ منذُ شُهورٍ..
وما زلتُ أشعُرُ - رَغَمَ الحوارِ المثَقَّفِ -
أَنَّكَ بَعْدُ تخافينَ مِنِّي..
ألا بُدَّ أن يتدخَّلَ شيخُ القبيلةِ..
بيني وبينكِ.. كي تَطْمَئِنِّي؟..

الحافِية

صامتة أنتِ..

فهل تدرين بأنَّ يَدَيْكِ الصامِتَتَيْنِ،

كتابا شِعْر؟

حافية أنتِ..

فهل تدرين بأنَّ امرأةً حافيةً القَدَمَيْنِ..

تُغيِّرُ إيقاعَ التاريخِ..

وتقلبُ خارطةَ الدُّنيا..

وتُطيلُ العُمْرَ؟..

الدخولُ إلى البحر

حَدَّثْتُ تَجْرِبَةُ الحُبِّ أَخِيرًا..
وَدَخَلْنَا جَنَّةَ اللَّهِ كُلُّ الدَّاحِلِينَ..
وَانْزَلَفْنَا.. تَحْتَ سَطْحِ الْمَاءِ أَسْمَاكَ..
رَأَيْنَا لَوْلَوَ البَحْرِ الحَقِيقِيِّ.. وَكُنَّا ذَاهِلِينَ
حَدَّثْتُ تَجْرِبَةُ الحُبِّ أَخِيرًا..
حَدَّثْتُ مِنْ غَيْرِ إِرْهَابٍ وَلَا قَسْرٍ..
فَأَعْطَيْتُ.. وَأَعْطَيْتِ.. وَكُنَّا عَادِلِينَ
حَدَّثْتُ فِي مَنْتَهَى اليُسْرِ كَمَا
يَكُتُبُ المَرءُ بِمَاءِ اليَاسْمِينِ..
وَكَمَا يَنْفَجِرُ التَّعُّ مِنَ الْأَرْضِ..
فَشَكَرًا.. لَكَ يَا سَيِّدَتِي..
وَلِرَبِّ الْعَالَمِينَ

إلى نصف عاشقة

تَحَرَّكي خُطْوَةً.. يا نِصْفَ عاشقَةٍ
فلا أريدُ أنا أنْصافَ عُشَّاقٍ..
إنَّ الزَّلَزلَ طوَلَ الليلَ تَضْرِبُنِي
وأنتِ واضعَةٌ ساقًا على ساقٍ..
وأنتِ آخِرُ مَنْ تَعْنِيهِ مُشْكِلتِي
ومن يشاركني حُزْني وإرهاقي
تَبْلَلِي مرَّةً.. بالماءِ أو بِدَمِي
وجَرَّبِي الموتَ يومًا فوق أحداقي
أنا غريبٌ، ومنفِيٌّ، ومُسْتَلَبٌ
وثَلْجٌ نَهْدِيكَ غَطَّى كُلَّ أعماقي
أَمِنْ سوابقِ شعري أنتِ خائِفَةٌ
أَمْ مِنْ تَطَرُّفِ أفْكارِي وأشواقِي
لا تحسبي أن أشعاري تُتاقِصُنِي
فإن شِعْري طفوليٌّ كأخلاقِي..

الكتاب المقرء

بِكَلِمَةٍ واحدةٍ..
لَقَطْتُهَا، ونَحْنُ عند البابِ
فَهَمْتُ كُلَّ شَيْءٍ..
فَهَمْتُ من طريقة الوداعِ
ومن جُمُود الثغر والأهدابِ
فَهَمْتُ أَنِّي لم أَعُدْ
أَكْثَرَ من بطاقةٍ تُتْرَكُ تحت البابِ
فَهَمْتُ يا سَيِّدَتِي
أَنَّكَ قد فرغتِ من قراءة الكتابِ..

الطَّوابع

أَعْرِفُ يَا سَيِّدَتِي
أَنَّ الرِّجَالَ كُلَّهُمْ لَدَيْكَ كَالطَّوابعِ
مَجْمُوعَةٌ مِنْ أَغْرَبِ الطَّوابعِ
وَأُنْدَرِ الطَّوابعِ..
عَلَى جِدَارِ الْقَلْبِ تُلْصِقِينَهُمْ
وَحِينَ تَتَعَبِينَ تَنْزَعِينَهُمْ
مِنْ دَفْتَرِ الْأَشْوَاقِ كَالطَّوابعِ..
أَعْرِفُ أَيْضًا أَنَّنِي
مَا كُنْتُ إِلَّا طَابَعًا مِنْ جُمْلَةِ الطَّوابعِ..

هَرَبْتُ مِنْ زَمَنِي الشَّعْرِيِّ^٣

هَرَبْتُ مِنْ زَمَنِي الشَّعْرِيِّ.. يا امرأةً
وَمِنْ تَقَلُّبِ طَقْسِي، وانفعالاتي..
غريبةً كُنْتُ عَنْ حَبْرِي وَعَنْ وَرَقِي
فَلَمْ تُجِبِّي عَصَافِيرِي وَغَابَاتِي
وَلَا اقْتَنَعْتُ بِأَفْكَارِي وَلَا كُتُبِي
وَلَا أَعَادْتُكَ لِلإِيمَانِ آيَاتِي
طَلَبْتُ مِنِّي ثَبَاتًا لَسْتُ أَمْلِكُهُ
أَنَا الْمُهَجَّرُ طَوْلَ العُمُرِ مِنْ ذَاتِي
مَا أَسْعَدْتُكَ قُصُورُ الشَّعْرِ، سَيِّدَتِي
مَا تَفْعَلِينَ بِقُصْرِ فِي السَّمَاوَاتِ؟
أَرَدْتُ أَنْ تَجْعَلِي مِنِّي مُؤَسَّسَةً
وَتُرَّرَ عَيْنِي نَبَاتًا كَالنَّبَاتِ
كُنْتُ الْقَصِيدَةَ لَا أَدْرِي نَهَايَتَهَا
وَصِرْتُ - وَأَأسَفي - مِنْ بَيْنِ عَادَاتِي..

لا تُحَسِّبِينَ جَمِيلَةً

لا تُحَسِّبِينَ جَمِيلَةً جَدًّا..
إِذَا أُخِذَتْ مَقَائِيسُ الْجَمَالِ..
لا تُحَسِّبِينَ مُثِيرَةً جَدًّا..
إِذَا دَارَ الْحَدِيثُ عَنِ الْغَوَايَةِ وَالْوَصَالِ
لا تُحَسِّبِينَ خَطِيرَةً جَدًّا.. إِذَا كَانَ الْهَوَى
مَعْنَاهُ أَنْ تَتَحَكَّمَ امْرَأَةٌ بِأَقْدَارِ الرِّجَالِ..
لَكِنَّ شَيْئًا فِيكَ سِرِّيًّا.. وَصُوفِيًّا.. وَجُنُسِيًّا.. وَشِعْرِيًّا..
يُخَرِّضُنِي.. وَيُقْلِقُنِي.. وَيَأْخُذُنِي
إِلَى أَلْفِ احْتِمَالٍ.. وَاحْتِمَالٍ..
لا تُحَسِّبِينَ جَمِيلَةً..
لَكِنَّ شَيْئًا فِيكَ يَخْتَرِقُ الرِّجُولَةَ..
مِثْلَ رَائِحَةِ النَّبِيذِ.. وَمِثْلَ عَطْرِ الْبُرْتُقَالِ..
شَيْئًا يَفَاجِئُنِي.. وَيُخْرِقُنِي.. وَيُغْرِقُنِي..
وَيَتْرَكُنِي بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْخِيَالِ..
لا تُحَسِّبِينَ جَمِيلَةً..
لَكِنَّ شَيْئًا فِيكَ مَائِيًّا.. طُفُولِيًّا.. حَضَارِيًّا..
عِرَاقِيًّا.. وَشَامِيًّا.. يُكَلِّمُنِي
وَيَرَفُضُ أَنْ يُجِيبَ عَلَيَّ سُؤَالِي..
لا تُحَسِّبِينَ جَمِيلَةً..

لكنَّ شيئًا فيكَ أَفْتَنَنِي..
وعَلَّمَنِي القِرَاءَةَ، والكِتَابَةَ، والحُرُوفَ الأبجديَّةَ
فإذا بسُنْبُلَةٍ تُمَشِّطُ شَعْرَهَا في راحتيَّه
وإذا بعصفورٍ صَغِيرٍ جَاءَ يَشْرَبُ من مياهي الداخِلِيَّةِ
اللهِ.. كم هو رَائِعٌ..
أَنْ تُصْبِحَ امْرَأَةً قَضِيَّةً..

ألا تجلسين قليلاً

١

ألا تجلسين قليلاً.. ألا تجلسين؟
فإنَّ القضيةَ أكبرُ منكِ.. وأكبرُ منِّي.. كما تعلمينِ
وما كان بيني وبينكِ، لم يكُ تَفْشًا على وجهِ ماءٍ
ولكنَّهُ كان شيئًا كبيرًا.. كبيرًا.. كهذي السَّماءِ
فكيف بلحظةٍ ضَعْفٍ نريدُ اغتيالَ السماءِ؟

٢

ألا تجلسينِ لَحْمَسٍ دقائقٍ أُخرى؟
ففي القلبِ شيءٌ كثيرٌ.. وحُزْنٌ كثيرٌ..
وليسَ من السهلِ قَتْلُ العواطفِ في لَحَظَاتٍ
وإلقاءِ حُبِّكِ في سَلَّةِ المُهْمَلَاتِ
فإنَّ تراثًا من الحُبِّ، والشَّعْرِ، والحزنِ..
والحُبْرِ، والملحِ، والتبغِ، والذِّكْرِيَّاتِ
يحصِرُنَا من جميعِ الجِهَاتِ..
فليتكِ تفتكرينِ قليلاً بما تفعلينِ
فإنَّ القضيةَ أكبرُ منكِ.. وأكبرُ منِّي..
كما تعلمينِ..

أنا لا أحاولُ ردَّ القضاء..
ولكنني أشعرُ الآنَ أنَّ التشُّجَّ ليسَ علاجًا
لما نحن فيه.. وأنَّ الحماقةَ ليستُ طريقَ اليقينِ
وأنَّ الشؤونَ الصغيرةَ بيني وبينك..
ليست تموتُ بتلك السُّهولةِ
وأنَّ المشاعرَ لا تتبدَّلُ مثلَ الثياب الجميلةِ

أنا لا أحاولُ تغييرَ رأيك.. إنَّ القرارَ قراركِ طبعًا..
ولكنني أشعرُ الآنَ، أنَّ جذوركِ تمتدُّ في القلبِ،
ذات الشمالِ، وذات اليمينِ..
فكيف نفكُّ حصارَ العصافيرِ،
والبحرِ، والصيفِ، والياسمينِ؟
وكيفَ نقصُ ثنائيتينِ
شريطًا غَرَلناه في عَشَرَاتِ السنينِ؟

سأسْكُبُ كأسًا لنفسي..
وأنتِ؟ تذكرُ أنَّكِ لا تشربينِ
أنا لستُ ضدَّ رحيلكِ.. لكن..
تذكرُ أنَّ السماءَ ملبَّدةٌ بالغيومِ،

وأخشى عليك سقوط المطر..
فماذا يضيئك لو تجلسين
لحين انقطاع المطر؟
وماذا يضيئك لو تضعين
قليلاً من الكحل فوق جفونك..
أنت بكيت كثيراً..
وما زال وجهك - رعم اختلاط دموعك بالكحل - مثل القمر..
٦

أنا لست ضد رحيلك.. لكن..
لدي اقتراح بأن نقرأ الآن شيئاً من الشعر..
علّ قليلاً من الشعر.. يكسر هذا الصجر..
.. تقولين إنك لا تُعجبين بشعري!!
سأقبل هذا التحدي الجديد
بكل برود، وكل صفاء..
وأذكر كم كنت تحتفلين بشعري..
وتحتضنين حروفي صباح مساء..
وأضحك من ترواة النساء..
فليتك، سيدتي، تجلسين
فإن القضية أكبر منك، وأكبر مني
كما تعلمين..
٧

أما زلتِ غضبي؟ إذن سأمحيني..
فأنتِ حبيبة قلبي على أيِّ حال..
سأفرضُ أنني تصرّفتُ مثلَ جميع الرجالِ
ببعض الخُشونة..
وبعض الغُرو..
فهل ذاكَ يكفي لقطع جميع الجُشور؟
وإحراق كُلِّ الشَّجرِ..

٨

أنا لا أحاولُ ردَّ القضاء، وردَّ القَدَرِ
ولكنني أشعرُ الآن أنَّ اقتلاعك من عَصَب القلب صعب..
وإعدام حُبِّكَ صعب..
وعشقك صعب.. وكُزْهَكَ صَعْب..
وقَتْلُكَ حُلْمٌ بعيدُ المَتَالِ..
فلا تُعلمني الحرب.. إنَّ الجميلات لا يحترقن القِتَالُ
ولا تُطلقِي النارَ ذات اليمين، وذات الشمالِ
ففي آخر الأمرِ..
لن تستطيعي اغتيالَ جميع الرجالِ..

الدفاتر القديمة

أَيْتُهَا الرَفِيعَةُ التَّهْذِيبِ، وَالرَّجْعِيَّةُ الْآرَاءُ
يَا امْرَأَةً تُصِرُّ أَنْ تَكُونَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
لَرَبِّمَا كَانَ مِنَ الْعَبَاءِ
أَنْ نَفْتَحَ الدِّفَاتِرَ الْقَدِيمَةَ
وَنُرْجِعَ السَّاعَةَ لِلوَرَاءِ..
وَرَبِّمَا كَانَ مِنَ الْعَقْلَةِ وَالْعُرُوزِ
أَنْ يَدَّعِي الْإِنْسَانَ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَدُورُ
وَالْحُبَّ لَا يَدُورُ..
وَالْعُرْفَ الرَّزَقَاءَ بِالْعَشَّاقِ لَا تَدُورُ..
وَرَبِّمَا كَانَ مِنَ الْغَبَاءِ
أَنْ نَتَحَدَّى دَوْرَةَ الْفُضُولِ
وَمِنْطَقَ الْأَشْيَاءِ
وَنُخْرِجَ الْأَزَاهِرَ الْحَمْرَاءَ مِنْ عِبَاءَةِ الشِّتَاءِ
وَرَبِّمَا كَانَ مِنَ الْعَبَاءِ
أَيْتُهَا الرَفِيعَةُ التَّهْذِيبِ، وَالرَّجْعِيَّةُ الْآرَاءُ
بَعْدَ ثَلَاثِينَ سَنَةً..
أَنْ نَبْدَأَ الْحَدِيثَ مِنْ أَوَّلِهِ..
فَالطَّائِرُ الذَّكِيُّ لَا يَكْرُرُ الْغِنَاءَ